الخلافة والإمارة

☐ الخلافة والإمـارة ☐

وهذا باب مهم من مهمات الدين، وقد مرّ بك في حديث لرسول الله ﷺ: « ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم شديدًا » .

قال ابن القيم :

تأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويهـم على ضعيفهم ، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه ، كيف يسلّط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء ، وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها .

أعمالكم عُمّالكم :

يقول ابن القيم :

وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم ، بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم فإن استقاموا استقامـت ملوكهم ، وإن عدلوا عدلت عليهم ، وإن جاروا جارت ملوكهـم وولاتهم ، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك ، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق وبخلوا بها عليهم ، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه ، وضربت عليهم المكوس والوظائف ، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة ، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم ، وليس في الحكمـة الإلهية أن يولى على الأشرار الفجـار إلّا من يكون من جنسهـم ، ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولاتهم كذلك ، فلما شابوا شابت

لهم الولاة ، فحكمة الله تأبى أن يولى علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فضلًا عن مثل أبي بكر وعمر ، بل ولاتنا على قدرنا وولاة من قبلنا على قدرهم ، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها ، ومن له فطنة إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر ، ظاهرة وباطنة فيه ، كما في الخلق والأمر سواء ، فإياك أن تظن بظنك الفاسد أن شيئًا من أقضيته وأقداره عارٍ عن الحكمة البالغة ، بل جميع أقضيته تعالى وأقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب ، ولكن العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن إدراكها ، كما أن الأبصار الخفاشية محجوبة بضعفها عن ضوء الشمس ، وهذه العقول الضعاف إذا صادفها الباطل جالت فيه وصالت ونطقت وقالت كما أن الخفاش إذا صادف ظلام الليل طار وسار :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولازمها قطع من الليل مظلم[(١)]

ويرحم الله عليَّ بن أبي طالب لما قال له أحد الخارجين عليه : لِمَ كثرت الفتن في عصرك ، ولم تكثر في عهد الصديق ؟؟ قال :

لأن الصديق كان أميرًا على مثلي ، وأنا اليوم أمير على أمثالكم .

قال ابن كثير عن الحجاج بن يوسف الثقفي : وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، وخذلانهم لهم ، وعصيانهم ومخالفتهم ، والافتيات عليهم .

عن الحسن قال : قال علي بن أبي طالب : اللهم ، كما ائتمنتهم فخانوني ، ونصحت لهم فغشّوني ، فسلِّط عليهم فتى ثقيف الذيّال الميّال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ[(٢)].

وكان الحسن يقول عن الحجاج : إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٥٣- ٢٥٤). (٢) البداية والنهاية (٩/١٣٨) .

(٣) البداية والنهاية (٩/١٤٢) .

والعقوبة لا تغير بالسيف وإنما تُغيّر بالتوبة ، ولذلك لما رأى الحسن رجلًا يدعو على الحجاج قال له : أخاف إن مات الحجّاج أن يولى عليكم القردة والخنازير . كما تكونوا يولّ عليكم ، وواقع الأمة التي اتخذت كتاب ربها وراءها ظهريًّا ، وتفشت فيها المعاصي ، وشكا ضوء النهار وظلمة الليل والكرام الكاتبون من ظهور البدع والفجور والفاحشة فسلّط الله عليهم مَنْ سامهم سوء العذاب من العلمانيين وصبيان الغرب ، فما رقبوا في الأمة إلًّا ولا ذمة وما ظالم إلا سُيبلى بظالم ، وصارت الأمة وحكامها بغالًا للغرب ..

نعم .. هذه الأمة الإمعة التي نسيت كتاب ربها ، وقلدت الغرب في فجوره وشذوذه ، وظهرت فيها الحانات والمراقص والمسارح والعري واختلاط الحابل بالنابل ، ابتلاها الله بحكام من جنس أعمالهم ، فساقوهم سوق البهائم إلى مستنقع الوحل والرذيلة، وضيعوا هم والأمة أمجاد الكرام وصدق فيهم قول القائل:

في السلم كأسٌ وسيجارٌ وغانيةٌ ... وساحة الحرب في الهيجا إذاعاتُ
وقادة العرب أموات بلا كفنٍ ... فهل يحرر أرضَ القدس أمواتُ

وقول الشاعر :

كوكبَ الشرق ! ضاع قومي لمّا ... تاه في حبك القطيع وهاما
وإذا الشعر بالكؤوس تغنّى ... « والنواسي عانق الخيّاما »
وأنين الكمان صار أذانًا ... في حمى البيت والنديم إمامًا
لا تغني الخيّام يا «كوكب الشرق» ... وتسقى من راحتيه المداما
ففلسطين لا تحب السكارى ... ورُبَى القدس لا تريد النياما
ولو ان الخيّام يُبعث حيًّا ... هوت الكأس من يديه حطامًا[1]

وقال الشاعر :

ضاع قومي في الحادثات وذلّوا ... وتمادوا في خسّة وصغارِ

---

(١) في رحاب الأقصى يوسف العظم ص٢١٥-٢١٦ المكتب الإسلامي .

بين ذلٍّ يمليه صوت يمين وهوانٍ يمليه سوط اليسارِ
أسكرتهم خمر الضلال فباتوا في ضياع بصحبة الخمارِ
وطووا راية الجهاد سكارى وتلهوا بالطبل والمزمارِ

وقال الشاعر :

قد هجرنا منابع الخير فينا وارتوينا من كل نبع مكدرْ
وطمسنا مشاعل النور جهلًا وتبعنا الضلال ينهى ويأمرْ
والجموع الحيرى يضللها الكفـ ـر فتلهو بكل حقٍّ وتسخرْ

وقال الشاعر عن هذه الأمة :

وبعثرت رايات أمجادها ونكّست في العار أعلامها
واستسلمت للكفر مذعورة وضيعت في التيه إسلامها
وألّهت جلّادها وانثنت تسجد للسوط الذي سامها
فكيف نرجو النصر في غفلة يا أمة تصنع أصنامها

وقال الشاعر :

قسّموها قطعان ذُلٍّ مهين ورموا جمعها بشر سهامِ
فقطيع «لينين» يحمى حماه وقطيع يعتزُّ « بالعم سامِ »
وقطيع بات الرغيف هواه شارد اللب حائر الأفهامِ
ليس يدري من أمره غير دنيا ملئت بالطبول والأعلامِ
والزغاريد في الكوارث تعوى والهتافات في الليالي الدوامي
نام فيك الرعاةُ حتى استكانوا فهنيئًا لعصبة النوام
وأقاموا على الهوان وذلّوا يالقومي من ضيعة الحكام
أمة الذل والمهانة قومي وعلى الذل والمهانة نامي

ويقول الشاعر :

الزقّ والرّق والمزمار عدتنا والخصم عدته علم وآلاتُ
وشرعة الله في القرآن نهجرها وشرعة الخصم تلمود وتوراةُ
تقود أمتنا في الحرب غانية والجيش في الزحف قد ألهته مغناةُ

كم بدَّدوا المال هدرًا في مباذلهم وفي ليالي الخنا ضاعت مروءاتُ
في كل يوم متاهات تضيعنا وفي الكوارث تطوينا متاهاتُ
يا سوأة العمر في تاريخ أمتنا لقد بدتْ منكمُ للعين سوءاتُ
من يزرع اليوم شرًّا فالحصادُ غدًا وقدرة الله للطغيان مِذراتُ

وإذا أردت الجزاء من جنس العمل يلوح جليًّا ، فانظر الرعاة والرعية وسل ملاهي أوربا وأندية قمارها عن الكبار بل الأقزام .

فلا الصّدّيق يرعاها بحزم ولا الفاروق يورثها فعالهْ
ولا عثمان يمنحها عطاءً ويُرخص في سبيل الله مالَهْ
ولا سيف صقيل من علي يفيئنا إلى « عدن » ظلالهْ
ولا زيد يقود الجمع فيها لحرب أو يعدَّ لها رجالهْ
ولا القعقاع يهتف بالسرايا فتخشى ساحة الهيجا نزالهْ
ولا حطين يصنعها صلاح طوى الجبناء في خور هلالهْ
سرى صوت المؤذن في حمانا وقد فقدت مآذننا بلالهْ
وشعب ضائع في كل أرضْ وجل مناه أن يرضى « جَمالَهْ »
وحادي الركب بوم أو غراب وقد قاد الجموعَ « أبو رغالهْ »
يرمرم من فتات الكفر قوتًا ويلعق من كؤوسهم الثمالهْ
يقبِّل راحة الطاغوت حينا ويلثم دونما خجل نعالَهْ
وهَمُّ الجمع ثوب أو رغيف و «صك» من رصيد أوْ «حوالهْ»
وألقاب يتيه بها قرود وليس لها معانٍ أو دَلالهْ
« سعادتُهْ » شقاء في شقاء وقد رفعت « معاليه » السفالهْ
« سيادته » يقيمُ على هوان « سماحته » يعيش مع الضلالهْ
« فخامته » هزيل ليس يدري بأن الناس قد فضحوا هزالهْ
و « دولته » يعيش مع الأماني ويخشى أن تفاجئه الإقالهْ

قال رسول الله ﷺ : « ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم

قولهم ، يتقاحمون في النار كما يتقاحم القردة »[١].

قال المناوي :

« ستكون أئمة من بعدي » أي يقعون فيها كما يقتحم الإنسان الأمر العظيم ، وتقحمه رمى نفسه بلا روية وتثبت ، كما يتقاحم القردة .

قال بعضهم : إذا اتصف القلب بالمكر والخديعة والفسق ، وانصبغ بذلك صبغة تامة ، صار صاحبه على خلق الحيوان الموصوف بذلك من القردة والخنازير وغيرهما ، ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بدون خفية ، ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهرًا جليًّا عند مَنْ له فراسة ، فيرى على صور الناس مسخًا من صور الحيوانات التي تخلقوا بأخلاقها باطنًا ، فقلّ أن ترى مختالًا مكّارًا مخادعًا إلا على وجهه مسخة قرد ، وأنْ ترى شَرِها نَهِمًا إلّا وعلى وجهه مسخة كلب ، فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط[٢].

الخلافة في قريش :

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان »[٣].

وعن أبي هريرة يرفعه : « الناس تبع لقريش في هذا الشأن »[٤].

وقال ﷺ : «إن قريشًا أهل أمانة، لا يبغيهم العثرات إلا كبه الله لمنخريه»[٥][٦].

---

(١) حسن : رواه أبو يعلى ، والطبراني في « الكبير » عن معاوية ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٠٩ .

(٢) فيض القدير للمناوي (٤/١٠٠) .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجاه في الصحيحين .

(٥) أي صرعه وألقاه على وجهه يعني أذله وأهانه ، وخص المنخرين جريًا على قولهم : رغم أنفه .

(٦) حسن : رواه ابن عساكر عن جابر ، والبخاري في الأدب المفرد ، والطبراني في الكبير عن رفاعة بن رافع ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

وقال ﷺ : « فضل الله قريشًا بسبع خصال ، لم يُعطها أحد قبلهم ، ولا يُعْطاها أحد بعدهم ، فضل الله قريشًا أني منهم ، وأن النبوة فيهم ، وأن الحجابة فيهم ، وأن السقاية فيهم ، ونصرهم على الفيل ، وعبدوا الله عشر سنين ، لا يعبد غيره ، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يُذكر فيها أحد غيرهم ﴿ لإيلاف قريش ﴾ »(١) [قريش : ١].

والحجابة هي حجابة الكعبة ، وهي حفظها واستلام مفاتيحها .

وقال ﷺ : « فضّل الله قريشًا بسبع خصال ، فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين ، لا يعبدُ الله إلا قريش ، وفضّلهم بأنهم نصرهم يوم الفيل ، وهم مشركون ، وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين، وهي ﴿لإيلاف قريش﴾، وفضلهم بأن فيهم النبوة، والخلافة، والحجابة، والسقاية »(٢).

قال ﷺ : « من أهانَ قريشًا أهانه الله »(٣).

قال المناوي : « أي من حل بأحد من قريش هوانًا جازاه الله بمثله ، وقابل هوانه بهوانه ، ولكن هوان الله أشد وأعظم »(٤).

وقال ﷺ : « من يرد هوان قريش أهانه الله »(٥).

قال المناوي :

---

(١) حسن : رواه البخاري في التاريخ، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في «الخلافيات» عن أم هانئ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٠٨٥ .

(٢) حسن : رواه الطبراني في « الأوسط » عن الزبير بن العوّام ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٠٨٤ .

(٣) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك عن عثمان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٩٨٨ .

(٤) فيض القدير (٦/٩) .

(٥) صحيح : رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٨٩ .

هذا أعظم من الخبر المار « من أهان قريشًا ... » لأنه جعل هوان الله لمن أراد هوانها ، لكنه إنما خَرج مخرج الزجر والتغليظ ؛ ليكون الانتهاء عن أذاهم أسرع امتثالًا ، وإلا فحكم الله المطرد في عدله أنه لا يعَاقب على الإرادات[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « من أجلّ سلطان الله ، أجلّه الله يوم القيامة »[(٢)].

قال المناوي :

أراد بسلطان الله الإمـام الأعظم ، أو المراد بسلطانه ما تقتضيه نواميـس الإلهية ، وهذا خبر أو دعاء مفهومه أن من أهانه أهانه الله[(٣)].

وقال ﷺ : « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله »[(٤)].

قتل ذو النورين عثمان بن عفان أمير المؤمنين :

الجهلة البغاة المتعنتون الخونة الظلمة المفترون الذين حاصروا أمير المؤمنين عثمان ، وضيّقوا عليه قبل قتله ، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومنْ وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من مُنعْ ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . وذكر أنه لم يقتل نفسًا ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مسّ فرجه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ ، وفي رواية بعد أن كتب بها المفصل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه ،

---

(١) فيض القدير (٦/٢٤٣) .

(٢) حسن : رواه الطبراني عن أبي بكرة ، وأحمد ، وابن أبي حاتم ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٨٢٧ .

(٣) فيض القدير (٦/٢٩) .

(٤) حسن : رواه الترمذي عن أبي بكرة، والطيالسي، وأحمد، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٩٨٧ .

فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغي والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفد ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين في ذلك ، فركب علي بنفسه وحمل معه قربا من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما ناله من جهلة أولئك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا لهذا الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته في وسط الدار وجاءت أم حبيبة راكبة بغلة وحولها حشمها وخدمها ، فقالوا : ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بني أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذّبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة ، وندّت بها ، وكادت أن تسقط عنها، وكادت تقتل لولا تلاحق الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جدًّا ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلًا[1].

عن حميد بن هلال ، قال : لما حُصِر عثمان – رضي الله عنه – أتته أم المؤمنين فجاء رجل، فاطّلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: ما له قطع الله يده، وأبدى عورته، قال: فدخل عليه داخل، فضربه بالسيف، فاتّقى بيمينه، فقطَعها، فانطلق هاربًا آخذًا إزاره بفيه أو بشماله ، باديًا عورته[2] والجزاء من جنس العمل .

واستخلف عثمان – رضي الله عنه – في هذه السنة على الحج عبد الله ابن عباس ، فقال له عبد الله بن عباس : إن مقامي على بابك ، أحاجف[3] عنك أفضل من الحج ، فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج ، واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر

---

(١) البداية والنهاية (٧/١٩٥-١٩٦) .

(٢) مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ص٦٨ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم – مكتبة الفرقان .

(٣) أدافع عنك .

أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم أيضًا أن معاوية قد بعث جيشًا مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش ، وأن أهل البصرة بعثوا مجاشعًا في جيش ، فعند ذلك صمموا على أمرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقلة الناس وغيبتهم في الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدّوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوّروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالًا شديدًا ، وتبارزوا وتراجزوا الشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يومٌ طاب الضراب فيه . وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحاتٍ كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان بن الحكم فقطع إحدى علباويه[1]، فعاش أوقص[2] حتى مات . وقتل من أعيان أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة ، فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف .

ودخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها ، فتركه وانصرف مستحييًا نادمًا ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردّهم طويلًا حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعًا ، فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجّه ، فقطر دمه على المصحف حتى لطّخه ، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف ،

---

(١) العلباء : عصب العنق . (٢) الوقص : قصر العنق .

ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوجة عثمان فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت : يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين ؟ وأخذت السيف فقطع الرجل يدها ، وانتهبوا متاع الدار ، ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم . وما تركوا في داره شيئًا - حتى الأقداح - إلا ذهبوا به . وفي رواية : جاء رجل من كِنْدة من أهل مصر ، يلقب حمارًا ، ويكنى بأبي رومان وقال قتادة : اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرق أشقر ، وقيل : كان اسمه سودان بن رومان المرادي .

وعن ابن عمر قال : كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتًا ، قال : ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه ، ثم وضع ذباب السيف في بطنه ، واتكأ عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها ، رضي الله عنها .

وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد ، فخرّ لجنبيه ، وضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فللّه ، وست لما كان في صدري عليه .

وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٣٧] ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر أنه لما طعن قال : بسم الله توكلت على الله ، فلما قطر الدم قال : سبحان الله العظيم .

وفي رواية أخرى : كان أول من دخل عليه رجل يقال له : الموت الأسود ، فخنقه خنقًا شديدًا حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قتله . ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها،

فقيل: إنه أبانها، وقيل: بل قطعها ولم يبنها، إلا أن عثمان قال: والله إنها أول يد كتبت المفصل، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية: ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾ ثم جاء آخر شاهرًا سيفه ، فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها .

وفي رواية أن الغافقي بن حرب تقدم إليه فضربه بحديدة في فيه ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله ، فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان – رضي الله عنه – وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فمانعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة ، وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له : قترة ، فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حزّ رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فيهن امرأتاه نائلة وأم البنين ، وبناته ، فقال ابن عديس : اتركوه اتركوه ، ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه ، وذلك أنه نادى منادٍ منهم : أيحلّ لنا دمه ولا يحلّ لنا ماله ، فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله ، وجعلوا لا يمرون على شيء إلّا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله، وقتله الغلام أيضًا، وانتهبوا مال بيت المال.

ولم يكتف البغاة الخوارج بقتله بل لما رفع السرير أراد بعضهم رجمه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث علي – رضي الله عنه – إليهم من نهاهم عن ذلك .

ثم قال ابن كثير :

وذكر الواقدي أن عمير بن ضابي نزا[1] على سريره ، وهو موضوع للصلاة عليه ، فكسر ضلعًا من أضلاعه وقال : أحبست ضابيًا حتى مات في السجن،

---

(١) قفز ووثب .

وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابي هذا(١) .

وقال البخاري في التاريخ : حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال ثنا غالب عن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي . فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحدًا يقول ما تقول ، قال : كنت أعطيت لله عهدًا إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته ، فلما قتل وضع على سريره في البيت والناس يجيئون يصلون عليه ، فدخلت كأني أصلي عليه ، فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته ، وقد يبست يميني . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن شيخ من بني راسب قال : كنت أطوف بالبيت ، فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت ويقول : اللهم اغفر لي ، وما أراك تفعل. قال: فقلت: أما تتقي الله! قال: إن لي شأنًا، آليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلطمن حرّ وجهه ، فدخلنا عليه ، وإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة ، فقال لها صاحبي : اكشفي عن وجهه ، قالت : لم ؟ قال : ألطم حر وجهه ، قالت : أما تذكر ما قال فيه رسول الله ﷺ ، قال فيه كذا ، وقال فيه كذا ، قال : فاستحيى صاحبي فرجع ، فقلت لها : اكشفي عن وجهه ، قال: فذهبت تدعو عليّ، فلطمت وجهه، فقالت: ما لك! يَبّس الله يديك، وأعمى بصرك ، ولا غفر لك ذنبك . قال : فوالله ما خرجت من الباب ، حتى يبست يدي ، وعمي بصري ، وما أرى الله يغفر لي ذنبي .

وعن سفيان بن عيينة ، عن طعمة بن عمرو ، وكان رجلًا قد يبس وشحب من العبادة ، فقيل له : ما شأنك . قال : إني كنت حلفت أن ألطم عثمان ، فلما قتل جئت فلطمته ، فقالت لي امرأته : أشلّ الله يمينك ، وصلّى وجهك النار ، فقد شلّت يميني ، وأنا أخاف(٢).

رضي الله عن عثمان أمير البررة ، وقتيل الفجرة ، مخذول من خذله ،

(١) البداية والنهاية (٧/١٩٩-٢٠٠) . (٢) مجابو الدعوة ص٦٧-٦٨ .

منصور من نصره .

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه جدًا ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممّن قصّ الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل في قوله تعالى : ﴿ **ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال : تبا لهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون** ﴾ [يس : ٤٩] . وبلغ عليًّا قتله فترحم عليه ، وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ [الحشر : ١٦] ، ولما بلغ سعد ابن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا** ﴾ [الكهف : ١٠٣] . ثم قال سعد : اللهم ! أندمهم ثم خذهم .

وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولًا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه منها دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح .

وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جُنّ[١].

قال حذيفة بن اليمان : اللهم : إن كان قتل عثمان بن عفان خيرًا فليس لي فيه نصيب ، وإن كان قتله شرًّا فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيرًا

(١) البداية والنهاية (٩/١٩٧-١٩٨) .

ليحلبنه لبنًا ، وإن كان قتله شرًّا ليمتص به دمًا .

قال ابن عباس : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء .

عن سعيد بن المسيب قال : كانت المرأة تجيء في زمان عثمان إلى بيت المال ، فتحمل وقرها وتقول : اللهم بدل ، اللهم غير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان - رضي الله عنه -:

قلتم بدِّل فقد بدَّلكم سنّة حرّى وحربًا كاللهبْ

ما نقمتم من ثياب خلقة وعبيدٍ وإماءٍ وذهبْ

سمع عبد الله بن سلام رجلًا يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان ، فقال ابن سلام : أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح في قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله لتقتلن به أقوام ، إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد .

وقال أبو بكرة : لأن أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن أشرك في قتل عثمان .

وقالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقيّ من الدنس، ثم قتلتموه.

وفي رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ؛ ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا . وهذا إسناد صحيح إليها .

وقال أبو مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله : إنكم مثلهم أو أعظم جرمًا ، أما مررتم ببلاد ثمود ، قالوا : نعم ! قال : فأشهد أنكم مثلهم ، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته .

وقال الحسن : لو كان قتل عثمان هدًى لاحتلبت به الأمة لبنًا ، ولكنه كان ضلالًا فاحتلبت به الأمة دمًا .

عن الشعبي قال : ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب ابن مالك :

فكفّ يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافلِ
وقال لأهل الدار لا تقتلوهُمُ عفا الله عن كل امرىء لم يقاتلِ
فكيف رأيت الله صبَّ عليهمُ الـ ـعداوة والبغضاء بعد التواصلِ
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار النعامِ الجوافلِ

وقال حسان :

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحًا وقرآنا
لتسمعنّ وشيكًا في ديارهمُ الله أكبر يا ثارات عثمانًا

وقال أيضًا :

إن تمسِ دارُ ابن أروى منه خاوية باب صريع وباب محرق خربُ
فقد يصادف باغي العرفِ حاجتهُ فيها ويأوي إليها المجد والحسبُ
يا معشر الناس أبدوا ذات أنفسكم لا يستوي الصدق عند الله والكذبُ

وقال راعي الإبل النميري :

عشية يدخلون بغير إذن على متوكّل أوفى وطابا
خليل محمد ووزير صدق ورابع خير من وطىء الترابا(١)

كان محمد بن أبي بكر ممن اشترك في حصار عثمان ومنع الماء عنه ، وبعد أن تولى إمرة مصر من قبل علي بن أبي طالب أرسل إليه معاوية عمرًا لينتزعها منه ، ودارت حرب بين أنصار علي ومعاوية كانت الغلبة فيها لأنصار معاوية « وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر ورجع يمشي ، فرأى خربة فأوى إليها ، ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعلوج في الطريق فقال لهم : هل مرّ بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا : فقال رجل منهم : إني رأيت رجلًا جالسًا في هذه الخربة ، فقال : هو هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها وقد كاد يموت عطشًا » .

وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية :

---

(١) البداية والنهاية (٩/٢٠٣-٢٠٦) .

لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبدًا ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائمًا محرمًا فتلقاه الله بالرحيق المختوم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضًا ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج ، فقدمه فقتله ، ثم جعله في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار[١].

مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

قال ابن كثير :

كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم ، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن ، فكان يكثر أن يقول : ما يحبس أشقاها ، أي ما ينتظر ؟ ما له لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته مِنْ هذه ويشير إلى هامته ، فقال عبد الله بن سبع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلًا فعل ذلك لأبدنا عورته : فقال أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقد تركتنا هملًا ؟ قال : أقول : اللهم ! استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم ، فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم[٢].

قال ابن كثير :

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو ، المعروف بابن ملجم الحميري ، ثم

---

(١) البداية والنهاية (٧/٣٢٦-٣٢٧) .
(٢) البداية والنهاية (٧/٣٣٥-٣٣٦) .

الكندي حليف بني حنيفة من كندة المصري وكان أسمر حسن الوجه وفي وجهه أثر السجود . والبرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضًا اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم . وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد ، وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينقص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه .

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها ، وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها : قطام بنت الشجنة ، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادمًا وقينة . وأن يقتل لها علي بن أبي طالب قال : فهو لك والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي ، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك ، وندبت له رجلًا من قومها ، من تيم الرباب يقال له : وردان ، ليكون معه ردءًا ، واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلًا آخر يقال له : شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري ، قال له ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : قتل علي ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئًا إدًّا كيف تقدر عليه ؟ قال : أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير عليّ كان أهون عليّ ؟ قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من

رسول الله ﷺ، فما أجدني أنشرح صدرًا لقتله. فقال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان ؟ فقال : بلى. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لأي ، ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو ابن العاص ، فجاء هؤلاء الثلاثة وهم مشتملون على سيوفهم ، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه[1] ، فسال دمه على لحيته - رضي الله عنه - ولما ضربه ابن ملجم قال : لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى : **﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾** [البقرة : ٢٠٧] .

ونادى علي : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدّم عليّ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ، فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل عليّ إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له : أي عدوّ الله ! ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له علي : لا أراك إلا مقتولًا به ، ولا أراك إلّا من شر خلق الله، ثم قال : إن مت فاقتلوه ، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به .

وروى الإمام عن أبي يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليًا قال لهم : افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله . فقال : « اقتلوه ثم أحرقوه » .

وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك . فقالت : إنه لا بأس عليه . فقال : لم تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين ، والله لقد

---

(١) الجانب الأعلى من الرأس .

سممت هذا السيف شهرًا ، ولقد اشتريته بألف وسممته بألف[1].

يقول ابن كثير :

استحضر الحسن بن علي عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبواري ليحرقوه ، فقالوا لهم أولاد علي : دعونا نشتفي منه ، فقطعت يداه ورجلاه ، فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله ، وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها ، وإن عينيه لتسيلان على خده ، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه ، فجزع من ذلك جزعًا شديدًا ، فقتل عند ذلك وحرّق بالنار قبحه الله[2].

قال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم بأشقى الناس رجلين ؟ أُحَيْمُر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عليّ على هذه ، حتى يبلّ منها هذه »[3] .

قال ابن مياس المرادي :

فلم أر مهرًا ساقهُ ذو سماحة كمهر قطام بيّنا غير معجم
ثلاثـة آلاف وعبـدٌ وقينَـة وقتلُ علي بالحسام المصمَّمِ
فلا مهرَ أغلى من عليٍّ وإنْ غلا ولا فتْك إلا دون فتك ابن ملجمِ

وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادي ، وأنشد له ابن جرير في قتلهم عليًّا :

ونحن ضربنا مالكَ الخير حيدرًا أبا حسن مأمومـةً فتقطَّـرَا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيفٍ إذْ علا وتجبرا
ونحن كرام في الهياج أعزّة إذا الموتُ بالموت ارتدى وتأزرا

وقال عمران بن حطان الخارجي :

---

(١) البداية والنهاية : (٧/٣٣٨-٣٤١) .

(٢) البداية والنهاية : (٨/١٤) .

(٣) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، عن عمار بن ياسر ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٥٨٦ .

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يومًا فأحسن أوفى البرية عند الله ميزانًا

وردّ عبد القاهر البغدادي :

يا ضربة من كفورٍ ما استفاد بها إلا الجزاء بما يصليه نيرانا
إني لألعنه دينًا ، وألعنُ من يرجو له أبدًا عفوًا وغفرانا
ذاك الشقي لأشقى الناس كلهم أخفهم عند رب الناس ميزانا

أشقى الآخرين قاتل علي جزاءً وفاقًا .

عن مصعب بن سعد ، أن رجلًا نال من عليّ ، فنهاه سعد ، فلم ينته ، فقال سعد : أدعو الله عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه ، فما برح حتى جاء بعير نادٌّ أو ناقة نادَّة فخبطته حتى مات[1].

ما توجبه الولاية :

قال رسول الله ﷺ : « اللهم ، من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به »[2].

قال المناوي :

« اللهم من ولي من أمر أمتي » أمة الإجابة ، ولا مانع من إرادة الأعم هنا . «شيئًا» من الولاية كخلافة وسلطنة وقضاء وإمارة ونظارة ووصاية وغير ذلك. « فشق عليهم » أي حملهم على ما يشق عليهم ، أو أوصل المشقة إليهم بقول أو فعل فهو من المشقة التي هي الإضرار ، لا من الشقاق الذي هو الخلاف . « فاشقق عليه » أي أوقعه في المشقة ، جزاءً وفاقًا . « ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم » أي عاملهم باللين والإحسان والشفقة . « فارفق به » أي افعل به ما فيه الرفق له مجازاة له بمثل فعله .

وهذا دعاء مجاب ، وقضيته لا يشك في حقيقتها عاقل ولا يرتاب ، فقلما

(١) مجابو الدعوة ص٧٢ .
(٢) رواه مسلم .

ذا ولاية عسف وجار وعامل عيال الله بالعتو والاستكبار ، إلا كان آخر أمره الوبال ، وانعكاس الأحوال ، فإن لم يعاقب بذلك في الدنيا قصرت مدته ، وعجل بروحه إلى بئس المستقر سقر .

ولهذا قالوا : الظلم لا يدوم وإن دام دمر ، والعدل لا يدوم وإن دام عمر .

وهذا كما ترى أبلغ زجر عن المشقة على الناس ، وأعظم حث على الرفق بهم ، وقد تظاهرت على ذلك الآيات والأخبار .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة ، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته »[1].

قال المناوي :

« ما من إمام أو وال » يلي من أمور الناس شيئًا « يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة » أي يمنعهم من الولوج عليه وعرض أحوالهم عليه ، ويترفع عن استماع كلامهم « إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » يعني منعه عما يبتغيه ، وحجب دعاءه عن الصعود إليه جزاءً وفاقًا[2].

وقال ﷺ : « ما من أمير عشرة ، إلّا وهو يُؤتى به يوم القيامة مغلولًا ، حتى يفكه العدل ، أو يوبقه الجور »[3].

قال المناوي :

«ما من أمير عشرة» أي : فما فوقها «إلا وهو يؤتى يوم القيامة» للحساب. « ويده مغلولة » أي والحال أن يده مشدودة إلى عنقه « حتى يفكه العدل أو

---

(١) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي عن عمرو بن مرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٦٢ والصحيحة رقم ٦٣٠ .

(٢) فيض القدير (٥/٤٧٠) .

(٣) صحيح : رواه البيهقي في سننه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٧١ ، والصحيحة ٣٤٤ .

يوبقه الجور » أي يهلكه الظلم .

لا يفكه من الغل إلا الهلاك بمعنى أنه يرى بعد الفك ما الغل في جنبه السلامة ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين** ﴾(١).

وقال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمور المسلمين شيئًا ، فاحتجب دون حلّتهم ، وحاجتهم ، وفقرهم ، وفاقتهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة ، دون خلته ، وحاجته ، وفاقته ، وفقره »(٢).

قطيع نحن والجزّار راعينا
ومنفيون نمشي في أراضينا
ونحمل نعشنا قسرًا بأيدينا ونعرب عن تعازينا لنا فينا
فوالينا أدام الله والينا ! رآنا أمة وسطا
فما أبقى لنا دنيا ولا أبقى لنا دينا
ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم ولا أبديتم اللينا
ففي تهديدكم حينا.. وفي تنديدكم حينا سحقتم أنف أمريكا
ولو نقلت سفارتها .. معاذ الله لو نقلت لضيّعنا فلسطينا
ولاة الأمر هذا النصر يكفيكم ويكفينا
تهانينا تهانينا

اللهم إن ولاتنا قد أصبحوا عبئًا ثقيلًا على أكتافنا ، فلا تطيقهم أبداننا ، وقذى في جفوننا فلا تطرق عليهم جفوننا ، وشجًى في أفواهنا لا تسيغهم حلوقنا ، فاكفنا مؤنتهم ، وفرّق بيننا وبينهم .

* * *

---

(١) فيض القدير (٥/٤٧٣) .

(٢) صحيح : رواه أبو داود ، وابن ماجة ، والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الحاكم وقال : هذا إسناد شامي صحيح ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : هو كما قالا ، انظر صحيح الجامع ٩٤٧١ ، والسلسلة الصحيحة رقم ٦٢٩ .